لكنهم لقلتهم عدوا من نوادر الزمان وفلتات بوائق الايام . بيد ان بعضهم شدا اللغة الفارسية فنظم بها وانشأ وحرر وحبر وكتب التواريخ ، ومع ذلك لم يرفع له منار كما رفع لمن تقدمه من ابناء هذه اللغة الضادية .

وبقيت الامور تجرى على غير هدى : بين سير الى الامام ، ورجوع الى الوراء ، وخبط او جمع بينهما ، حتى كان عصر حكومة سليمان باشا الكتخدا او القتيل فى فجر القرن الثانى عشر من التاريخ الهجرى فاخذ العلماء والادباء يتنفسون الصعداء ، من تلك البرحاء ، مستنشقين نسيم الراحة والطمانينة ، متيمنين بايامه ، ومتفائلين ببدء عودة عهد غضارة اللغة والعلوم والآداب ثم جاء بعده خلفه داود باشا ، فكان هذا لذاك كالمأمون للرشيد مع حفظ قاعدة النسبة لكل واحد بموجب عهده ومقدرته ومنشاه .

ولابد من ان نذكر طرفاً من ترجمة كل من هذين الباشوين الوزيرين حتى يجوز لنا بعد ذلك ان نتكلم عمن نبغوا فى عصرهما او اشتهروا بعدهما .

ترجمة سليمان باشا القتيل

كان سليمان باشا القتيل والكتخدا ، الثالث ممن تسمى بهذا الاسم من ولاة بغداد ، وهو ابن اخت على باشا القتيل ، وزر على بغداد سنة ١٢٢١ هـ (= ١٨٠٦ م) ولما تولى الوزارة سار فى الرعية سيرة حسنة حميدة ، ورغب فى العلوم ، ونكب عن الابحاث الفلسفية التى

كان قد الهج بها فى غلوائه ، ومنع العمال من اخذ الرشى والهدايا ، وكان يعاقب من يخالفه اشد المعاقبة وكان يتجسس الاخبار ليقف على من يتطلب السحت اويأتى هذه الدناءة ؛ واكرم العلماء واحتفى بهم اشد الاحتفاء وبالغ فى ذلك ليحمل الناس على تعشق العلوم والآداب والتفرغ للصلاح واعمال البر . وكان ممن نال الحظوة عنده الشيخ على بن محمد السويدى وكان هذا الرجل من مشاهير ذلك الاوان بعلمه وفضله وفضيلته .

وكانت ديار العراق فى ذلك العهد عرضة لمساوى اهل البادية وسكان جبل سنجار ، ففكر الوزير بان يمثل بهؤلاء المفسدين العاثين بالبلاد ليستريح الناس منهم ويطمئنوا بالا .

فلما كانت سنة ١٢٢٤ هـ (= = ١٨٠٩ م) غزا فيها ديار بكر بجيش لهام لتأديب اعراب الضفير وقبيلة من عنزة كان كبيرها الدريعى. وكان خروجه من الزور آه فى الخامس والعشرين من محرم (= = ١٢ آذار) فلما جاوز الموصل شن الغارة على اليزيدية فصبح القرية المعروفة باسم « البلد » وغنم وقتل وسبى . ثم تحصن اهلها بثنية من ثنايا سنجار ثنية لا ترام فعدل عنهم .

ثم توجه الوالى الى الضفير والعنزيين فلما هبط البلدة المعروفة باسم « العين » الواقعة بين حران ونصيبين جاءه رسول من قبل رئيس الجند الذين فى ماردين يطلب منه المدد ، ولما لم يكن له بد ان يمده هو بنفسه اخذ اليه اخاه فى الرضاعة « احمد بيك » وباقى العسكر ليرجعوا

على الضفير وتوجه هو الى ديار بكر ، فلما وصل الى قرية يقال لها « ديرك » حاصرها . فخضع اهلها وادوا ماعليهم من الخراج . ثم توجه منها الى ماردين، ولما اوشك الوصول اليها جاءه اخوه في الرضاعة احمد بيك وقد كسره الضفير وقتلوا من عسكره خلقاً كثيراً فاراد الوزير الكرة على الضفير لكن لم تساعده الاحوال ، لان عسكر الاكراد تخلف عنه ، ولذا عدل عن مناجزتهم وحاول الرجوع الى بغداد .

فلما وصل الموصل اقام فيها ثلاثة ايام ثم رأى في خلالها ان الاصلح له ان يسرع في الرجوع الى دار السلام ويبرز منها اوامره وزواجره سياسة للولاية فتفعل وتجح لانه قهر بني عبد الجليل في الموصل عند خروجهم عن الطاعة وان كان خسر في الموقعة واليها احمد باشا .

وبعد ان انتشر الامن في ديار العراق اخذ الوزير بعد اروقة العلم وضرب خيامه ، فانشأ في بغداد عدة مدارس ، واعاد بناء ما كان منها دوارس ، وشيد المساجد والجوامع ، واجرى على العلماء دافق سيول الوظائف والرواتب ؛ وكافأ اهل الفضل والادب بما لا يفي وصفه اليراع فكان هذا الوزير اول من أيقظ العلم والمنتمين اليه بعد ذلك السبات العميق ثم جاء بعده بقليل داود باشا فانهضه النهضة التي خلدت له الاثر المحمود والذكر الطيب .

وكان سليمان باشا شاباً متوقد الفؤاد ، حسن الشمائل ، جليل المناقب ، كثير الحسنات والمبرات محباً للعدل والقسط ، كريماً ، عارفاً بامور الدنيا والدين ، وديعاً ، مطلعاً اتم الاطلاع على امور

السياسة لين العريكة ، رقيق العواطف ، دقيق الشعور ، محبوباً لدى الكبار والصغار ، الغى بعض الضرائب القديمة وجميع الرسوم التى اقامها الولاة الذين سبقوه ولاوجه حسن لها وكانت قد اضرت بالبلاد واهلها كالاحتساب وتحصيل الرسم ومباشرة الخدمة وضبط المخلفات وغيرها وابطل القتل الا ما كان منه بمنزلة القصاص . والخلاصة : اتخذ لهائمة جماعة الحنفيين .

ومما اثاه من الحسنات انه امر ان ينفق على قضاة بغداد من مال خزانته الخاصة واجرى مثل ذلك على سائر قضاة ديار العراق ونوابها الراجعين اليه . وكانت ارزاقهم فى السابق غير معينة تأتيهم من حسنات المسلمين .

ومن غرائب ماوقع لهذا الوزير الخطير انه من بعد ان نسخ تلك الرسوم الباهظة والضرائب الرازحة زادت واردات الخزانة اضعاف اضعاف ما كان يدخلها سابقاً وساد الامن والسلام فى جميع البلاد مع انه ازال كل تعذيب من اى نوع كان ان صلباً وان قتلاً .

ومع ما كان لهذا الرجل العظيم من الاوصاف العجيبة طوحه غروره فى ما لا تحمد عقباه لانه اعتزل الناس واخذ يعمل بما يوحيه اليه عنفوان شبابه واشارة المعجبين به ممن يخاف ان ينبهه على زلله انلا يفقد حسن التفاته اليه . ولهذا تتابعت عليه المصائب والنوائب حتى لم تبق له مجالاً . وفى النهاية افضت به الى عزله . ثم لما تظاهر بالعصيان قتل قبل ان يتم السنة الثلاثين من عمره على يد احد اعراب الدفاعة سنة ١٢٢٥ هـ